الرواية العائلية
التفسير الفرويديّ للسرد السايكولوجي الحديث

د.حسن مجّاد
جامعة القادسية
كلية التربية
قسم اللغة العربيّة

الخلاصة

تعد (الرواية العائلية) واحدةً من الأنماط السردية الأوربيّة الحديثة التي عملت على تصوير علاقة الأفراد في المجتمع الأسريّ ضمن التطور التاريخي والانعطاف السياسيّ ، وهي بهذا الوصف ، قد تطورت بفعل ازدهار المذهب الواقعيّ في القرن التاسع عشر ، وقدمت رؤية للعالم تنسجم مع تطلعات العائلة البرجوازية الصاعدة في أحلامها ونزقها وتطلعاتها ، وقد صوّر (بلزاك) و(زولا) و(دوستويفسكيّ) مشكلات الرؤية السايكولوجية بأبعادها السلوكية والقيمية ، ويأتي هذا البحث ؛ ليقف عند أصول تحولات النوع الأدبيّ ودلالاته السوسيولوجية ،وعلاقة (الرواية العائلية) بالأنماط السردية المجاورة .

-١-

الرواية العائلية نوعاً أدبياً

تعنى هذه المقاربة بـ(سوسيولوجيا أصول النوع الأدبيّ)[1] وتشكيلاته في النظرية الأدبية المعاصرة، محاولة في تفكيك مقولات (نظرية الرواية) في سياقها الأوربيّ، بعد أن نحدّد منطلقات الفهم النقديّ للمفهوم ومرتكزاته ومجالاته في ضوء الوقوف على معطيات الإرث الهيجليّ ومأزق مابعد اللوكاتشيّة من أجل بحث علميّ لنشوء مصطلح

[1] - ينظر: سوسيولوجيا الفن، ناتالي اينيك، ت: حسين جواد قبيسيّ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١١ : ٤٢ -٤٣.

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

رواية الأجيال بتصويرها للعائلة البرجوازيّة ومآلاتها المصيرية في الصعود والانحدار، والتفسخ القيميّ، فالشرط التاريخيّ والاستجابة الاجتماعية هو ما يحدد تحولات الشكل الفني.

يعد الموروث الهيجليّ في (نظرية الرواية)[٢]، على نزرته وانخراطه في المثالية الألمانية، من أخصب النظريات الكبرى في التفسير الجمالي للرواية عند لوكاتش وذريته من غولدمان حتى بيير زيما، وهو ما أنتج النظرية الأوروبية للرواية في تكويناتها التاريخية وأسسها الجمالية ومنطلقاتها الفلسفية التي تقوم على مبدأ تحولات البنية الاجتماعية من العصر الإقطاعي الى عصور مابعد الدولة الوطنية في أنموذجها البرجوازي التي كوّن الشكل الروائيّ، ويدرك هيغل (أنَّ الملحمة مرتبطة تاريخيا بطور بدائي في التطور الإنسانيّ، بحقبة الأبطال، أي بحقبة لم تكن قد هيمنت بعد على حياة المجتمع القوى الاجتماعية التي حازت سؤددها واستقلالها وانفصالها عن بني البشر)[٣].

إلا أنَّ محاولة إعادة النظر بتفسير المنظور الأوروبي لنظرية الرواية لم تتم الا مع اتجاهات مابعد الحداثة بشقيها (المابعد كولنيالي) و(النقد الثقافي)[٤]، فقد أصرت على تفتيت المركزية الأوروبية المتمثلة بتصوير سرديات الطبقة البرجوازية، بعد أن تفسخت قيمها وعاداتها وتصدع حلمها في امتلاك العالم، فقد (مر الجدل حول الرواية بثلاث مراحل، في المرحلة الأولى تم التأكيد على أنَّ الرواية في أوروبا الحديثة قد نشأت عن الملحمة، وفي المرحلة الثانية، وأمام مأزق اختيار نهجها الروائي، قامت الثقافات غير الأوروبية بتبني النظرية الأوروبية للرواية، أما في المرحلة الثالثة، وهي مرحلة الحداثة، فإنَّ مقدمات المركزية الأوروبية أمست واهنة، فدخلت نظرية الرواية السائدة حينذاك في نفق مظلم وطفت على السطح مسألة البحث عن وفاق عالمي)[٥].

كانت الرواية أيديولوجيا العصر الحديث، عصر ظهور البرجوازية وتفتحها وصعودها ؛ ولكنها قد تخلت عن طبقتها، بعد أن زالت شمسها، وراحت تستوعب الطبقات الصاعدة، البروليتارية، والبروليتارية الرثة، بعد أن تحسنت أوضاعهم المعاشية ووعيهم الطبقي في التعلم، ولم تعد تقدر الرواية إلا بما تهدف إليه، من خلال تصوير الإنسان أو حقبة تاريخية والكشف عن آلية المجتمعات وطرح المشكلات الراهنة[٦]، وأفادت سريعاً من مبتكرات الفنون الحديثة، السينمائية والتلفزيونية ومكتسبات ثقافة الاتصال الجماهيريّ، وذلك بسبب من موجات التأثير التي سادت مع العلوم الإنسانية والتجريبية التي قدمها ماركس في التحليل الطبقي وفرويد في التحليل النفسي واينشتين في

---

[٢] - لمزيد من المراجعة النظرية للأسس الفلسفية ينظر: علم الجمال عند لوكاتش، د. رمضان بسطاويسيّ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١ : ٢٠٦-٢٠٧.

[٣] - الرواية كملحمة بورجوازية، جورج لوكاتش، ت:جورج طرابيشي،دار الطليعة للطباعة والنشر ،ط١، بيروت، ١٩٧٩: ٢٩ . نظرية الرواية وتطورها، جورج لوكاش،ت: نزيه الشوفي، دمشق، ١٩٨٧ : ٢٠.

[٤] - للاستزادة حول اتجاهات مابعد الحداثة ومشاريعها في إعادة النظر بمرويات التأسيس الكلاسي للسرديات ينظر على نحو التمثيل : النظرية في الممارسة: مدخل الى النقد الأدبيّ، آن .ب دوبي، ت: مجدي كبة ، منشورات كلمة ، أبو ظبي، ط١ ، ٢٠١١ : ٣٦٢ -٣٦٧ . مابعد الحداثة، سيمون مالباس، ت: د.باسل المسالمة ، دار التكوين، دمشق ، ط١ ، ٢٠١٢ : ٢٥-٢٨.

[٥] - الأدب الأوروبي من منظور الآخر، فرانكا سينوبولي، ت: مجدي يوسف، فوزي عيسى، حسين محمود ، سيد الشيخ، مر: مجدي يوسف ، المشروع القومي للترجمة (١٠٨٣) ، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٧ : ٢٣١.

[٦] - تاريخ الرواية الحديثة، ر. م. ألبيريس،ت: جورج سالم، منشورات نجم المتوسط، بيروت – باريس، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط٢، ١٩٨٢: ٢٢.

النسبية الفيزيائية وتغير الحقيقة من المطلق الى النسبي، وتهدمت العلاقات الثابتة في النمط الاقتصادي من مجتمعات ما قبل الدولة الى مجتمعات تعيد علاقة الأنظمة السياسية على نحو من التعاقد الاجتماعيّ، وقد أدى تطور التعقيد الاجتماعي للبنية العائلية وصراع القيم الرمزية وتقاليد الموروث الأخلاقي الى ظهور ميل نحو استقصاء الحياة الداخلية للأسر البرجوازية وظهورها وتكون علاقاتها الاجتماعية والتاريخية ،فـ(مع تطور الرواية الواقعية في الأدب العالمي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين برز ميلٌ لتأليف الرواية المتعددة الأجزاء على شكل سلسلة وضع بدايته بلزاك في«الكوميديا الإنسانية» ولا شك أنّه قد تجلت بصدور أجزائها القدرات الملحمية للواقعية، لكن لا يجوز المطابقة بينها وبين الملحمة، فلا تعتبر "الكوميديا الإنسانية "، ولا "روغون ماكار" زولا، و" جان كريستوف" رومان رولان ملاحم، بل روايات بمضامينها وبنياناتها، بعلاقات الفرد بالمجتمع وبمصير البطل فيها)[٧].

تتشخص أبعاد الواقع في الرواية الحديثة على تواشج خلاّق، بين الراهن بحضوره، و الماضي بتاريخيته وثقل ظله عليه، ولا يمكن أن نفصل بين البعدين في التمثيل الروائيّ للواقع ومتغيراته؛ لأنَّ العمل سيقع في آلية القسر الميكانيكي، ولا يحقق امتلاكه الجماليّ فـ(الراهن هو الواقع الاجتماعي او المرحلة التي أنتج الكاتب خلالها ومن خلالها أدبه؛ وبعد التاريخ هو الحركة الإنسانية في سيرورتها وشمولها، انه بعد الفلسفة والايدولوجيا، والاقتصار على أحد هذين البعدين في أدب كاتب ما،إنما هو نقص في تملكه الجمالي،انه كذلك العسف والميكانيكية بعينها، الميكانيكية في عكس الواقع الرهن كما هو، او الميكانيكية في عكس النظرية الشمولية دون اهتمام بالواقع الراهن)[٨]

إنَّ العالم الروائيّ الذي تصطرع فيه حيوات الشخصيات عمقاً واضطراباً قد يتناوب بين التكثيف الزمني والبعد الملحمي ، ويزاوج بين البانوراما الاجتماعية التي تسفر عن تحولات الطبائع والمصائر ، و البعد الذاتي بتحولاته السايكولوجية الفردية ؛ لكي لا تندغم الحلول الفردية وسط تيار جارف، وتضيع الأصوات المتناغمة في السرد لصالح أحادة النبرة الفكرية فـ(الروايات القائمة على المشاهد الطويلة تميل إلى صرف الاهتمام نحو البناء المتأني للتجربة الإنسانية، وغالباً ما تشير إلى نوع من التغير الهام، يقع خلال تفاعل الشخصيات، أما الروايات التي تكون فيها المشاهد موجزة، ولا تمنح إحساساً تاما بالرضا؛ فتعطي انطباعاً بأنَّ الجانب الأكثر من التغير في الموقف والدور الأخلاقي يقع خارج نطاق المواقف الاجتماعية.. يقع داخل أذهان الشخصيات عندما تكون وحيدة)[٩].

---

[٧] - الواقعية النقدية في الأدب، س.بيتروف، ت: شوكت يوسف، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ، ٢٠١٢ : ٢٥٣. وينظر : تاريخ الأدب الفرنسيّ في القرن العشرين ، بيير هنري سيمون، ت: نبيه صقر، منشورات عويدات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦١ : ١٨١-١٨٢ . وينظر : تاريخ الرواية الحديثة ، ر.م.البيريس ، ت: جورج سالم: ١١٨ .

[٨]-السهم والدائرة: مقدمة في القصة السورية القصيرة في عقدي الخمسينات والستينات، محمد كامل الخطيب، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٧٩: ١٠٩ .

[٩]-قراءة الرواية: مدخل الى تقنيات التفسير، روجر ب.هينكل، ت: صلاح رزق : ٢٧٥ .

e-ISSN (2522-7130) p-ISSN (2410-1036)

-٢-

الرواية العائلية : مرويات التشرد وأزمة الفردانية الحديثة

يرتبط التفسير الفرويديّ باتجاهات السرد السايكولوجيّ (psychological novel) في استقصاء حالات الوعي واللاوعي للشخصية الروائية ، او استبطان سايكولوجية العادات للتقاليد العائلية ضمن محيط اجتماعيّ ما ، ومن هنا ، كان علينا أن نفرّق بين الارث اللوكاتشيّ والتفسير الفرويديّ لرواية الأجيال وما تفرزه على مستوى البنية الموضوعية في تجسيد مشكلات العائلة البرجوازية[١٠].فقد شكلت الرواية مجالا خصباً لاستظهار الاحاسيس والمشاعر الدفينة التي يحياها البطل الإشكاليّ في مواجهته للواقع الاجتماعي وقيمه السائدة .

وقد شكلت (رواية العائلة) المصير المأساوي للفرد المتمرد داخل الكيان الأسريّ ، وشهدت تفتت الاوصر البنيوية في علاقات العائلة الاجتماعية على مستوى الانسجام والترابط ، مما جعل حركة الجيل معرضة للتصدع والسقوط القيميّ ،ومن ثم انهيار العائلة ، وهو ما يجعل رواية (الاخوة كرامازوف) لدوستويفسكي التأسيس الجماليّ للواقعية السايكولوجية لرواية العائلة في السردية الحديثة ، وتمتد الى فوكنر في (الصخب والعنف)، فـ(خلافاً لإيديولوجيي النزعة السلافية في الأربعينات، اختار، دوستويفسكي، منذ سنوات شبابه، «الفرد الواحد» بالذات بتنافره الداخلي اللدود أساسا للفن ، ليس العالم الأبوي المثالي الخيالي، إنما الواقع المعاصر، المريض، وغير المنسجم، بتناقضاته المعقدة، وبالتوزيع الحقيقي للضوء والظل فيه، وبتوتره وقلقه، ولجته القائمة، وتطلعاته نحو المثل الأعلى – هذا الواقع هو الذي غدا، بالنسبة لدوستويفسكي، نبعاً دائماً للإلهام الإبداعي)[١١].

يرتبط تكوّن الجيل في (الرواية العائلية) بنزوعه نحو تشكّل الفرادة والمغايرة، وبإحساس الفرد العميق لضرورة أن يمتلك صوتاً يختلف عن أصوات الأجداد والآباء، ولكنّ هذا التشكل لم يكن وليد صدفة عابرة، أو نزق صبياني، بل وليد ملابسات حضارية ومشكلات سياسية واقتصادية، ومن هنا يتكوّن الجيل بتمرده على النسق السائد وخروجه على النظام الاجتماعي القائم، إذ تعد مسألة الفردانية المشكل الفلسفي ليس لظهور الرواية في عالم مابعد الإقطاعي فحسب، بل في تمثيل توجهاتها وأفكارها ضمن العالم الروائيّ.

والفردانية قبل أن تكون توجهاً أخلاقياً أو سلوكاً في التحرر، ستبقى مشروعاً أيديولوجياً قدمته الرأسمالية الصناعية تعبيراً عن فلسفة التقدم والذي يكون بموجبه (الفرد أصغر قاسم مشترك، وأدنى وحدة غير قابلة للفصل في الكيان الاجتماعي، وهو القلب الفلسفي أو الرؤية الخيالية التي ترى أنّ الجنس البشري أو الانسان عامة،

[١٠] - ينظر في المساهمة الفرويدية وآثارها في علم الجمال والنظرية الأدبيّة : طفولة الفن، تفسير علم الجمال الفرويدي، سارة كوفمان ، ت: وجيه أسعد ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٩ : ٧٨ -٧٩ .

[١١] - دوستويفسكي: درسات في أدبه وفكره ، مجموعة باحثين ، تحرير وترجمة : نزار عيون السود ،منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب ، دمشق ، ٢٠١٢ : ٤٧ .

قد تطور من خلال الفرد، أو أن هذا الأخير قد طوّر الانسان)[١٢]، ولم تتبلور الا حين أصبح الشقاق بين الذات والجماعة، فانسلخت الأولى تبحث عن جوهرها، وحين تصل إلى ذاتها، رجعت آفلة تبحث عن هويتها المفتقدة ،فثمة (ضروب من التضامن غير المرئية ، ضرب من اللامتصور الأسريّ، تربط دائماً فرداً بأسلافه)[١٣]،ولعلّ ما قدّمته رواية التشرد«البيكارو»[١٤] Pi-caro يعد الأنموذج الأوّل في تشكل الذات الأوربية وبحثها عن هويتها المفتقدة ولهذا سجلت الرواية (الانتقال من حالة البراءة الى حالة التجربة، من ذلك الجهل الذي يعد بركة الى الإدراك الناضج لسلوك العالم الفعليّ)[١٥].

تقدم سرديات التشرد بسلسلة مطولاتها الحكائية لمغامرات البطل الجوال بحسب مبتكرات الأدب الإسبانيّ صياغةً أولى لانفراط الفرد عن الجماعة وتفسخ العلاقة الاجتماعية للنظام القبلي، وخروجاً على المنزل العائلي إلى التسكع في الضيعة والمزارع الكبرى، ومن ثم تشكيل اللحظة الحرجة للاغتراب الفكري في العالم الروائيّ الحديث واختلاق بطل مضاد، فـ(وريث سقراط ليس سانكوبانزا، بل سرفانتس نفسه، وان الروائيّ هو المفارق " الطاعن بذاته "، بينما يكون بطله مخادع ذاته)[١٦]، فيصبح البطل المضاد ساخراً من المآثر الأسطورية للفرسان،ويضع مساءلة جمالية للقيم الواقعية عبر تخييلات فردية ونزوات ذاتية.

إنَّ التحولات العميقة لجوهر التجربة الإنسانية ،وهي تعي أزمنتها بحساسية الوعي الوجودي، سينعكس بالضرورة على الأشكال الجمالية وتنويعاتها الأدبيّة؛لأنها ستكون أكثر تعبيراً عن البنى الاقتصادية السائدة بأنساقها الثقافية وتشكيلها الرمزي للمتخيلات الاجتماعية فـ(التحوّل الذي مس المجتمعات الأوربية : الانتقال من عالم منغلق، شبه بطريركي، معتم،إلى علاقات دولية وعلاقات بين اللغات الجديدة يصبح تعدد أشكال اللغات، الثقافات، والعصور بالنسبة للإنسان الأوربي عاملا حاسما في وجوده وفكره)[١٧]، ومع الاستنارة الأوربية تحقق للفرد كيانه وأصبحت الرواية الشكل الجمالي المعبر عن همومه وتطلعاته وتأسست أعراف الكتابة للرواية بوصفها نوعاً أدبياً.

---

[١٢]-معجم الماركسية النقدي ، جيرار بن سوسان ، جورج لابيكا، ترجمة جماعية ، دار محمد علي الحامي ـ صفاقس،الفارابي، بيروت ، ط١، ٢٠٠٣ : ١٠٠٠ . وللاستزادة في المفهوم واتجاهاته الفلسفية ينظر: المصدر نفسه : ١٠٠٠ -١٠٠٢.ومعجم المصطلحات الاجتماعية،د.خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني ، ط١ ، ١٩٩٥ : ٣١٤.و المعجم النقدي في علم الاجتماع ، ريمون بودون ، فرانسو بوريكو، ت : وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق ، ٢٠٠٧ ،ج٢ : ١٧٩ -١٨٠وما بعدهما.

[١٣]-الذاكرة والهوية ، جويل كاندو ، ت: وجيه أسعد ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠٠٩ : ١٨٣ .

[١٤]-ينظر في تفسير المصطلح ومشكلات ترجمته فيترجمه إبراهيم فتحي بـ(تسكعي –تشردي) : معجم المصطلحات الأدبية: ٨٣، ويقدمه مجدي وهبه وكامل المهندس بـالأدب (التشردي) : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ١٠٢، ويتفق في هذه الترجمة محمد حمود في ترجمته لكتاب : معجم المصطلحات الأدبية : ٣٤٧ . وينظر : *القامات وباكورة قصص الشطار الإسبانية* (لاثاريو دي تورمس) : دراسة مقارنة،د.عليّ عبد الرؤوف البمبي،كتاب (الرياض)، السعوديّة ، ١٩٩٧ : ٤٣ -٤٤ وما بعدهما.

[١٥]-نظرية الرواية : علاقة التعبير بالواقع ،مورس شرودر وآخرون ، ت : محسن جاسم الموسوي : ١٤ .

[١٦] -المصدر نفسه : ٢٦ .

[١٧]-مدخل إلى نظريات الرواية، بيير شارتيه، ت : عبد الكبير الشرقاوي: ٣٩ .

ومن ثم عملت رواية الأجيال بمقترحاتها الجمالية في الواقعية النقدية والتجريبية الوضعية صورة للتقدم والتحديث في البنية الاجتماعية المتحررة من سطوة الكهنوت، وقد تشكل، من بعد ذلك، الفرق بين الوجود في العالم بمعطياته الواقعية والتجريدية ؛ لأنّ الوعي الوجوديّ ينزع الى اكتشاف الحقيقة بموضوعيتها او ذاتيتها فـ(مقولة " الوجود في العالم " لدى هيدغّر هي الأساس الذي يحدد " ظاهرة الحقيقة ". أما لدى لوكاش فأساس الوجود في العالم هو الوجود الاجتماعي، والحقيقة نتاجٌ اجتماعي)[١٨] ،فتكوّنت قوة الإحساس بالفرد المأخوذ بالعلم والمعرفة والمطرّح الخرافة في عالم يتصف بأنه الكون البروميثيوسيّ، عبر تدخله في حلّ معضلة الشقاء الإنسانيّ، لصالح الجنس البشري.

وقد أشار جيريمي هورثورن إلى المساهمة الفعالة التي عملت بها السرديات التشردية،لا في نشأة النوع الأدبيّ وأصنافه المتنوعة، بل في خلق مجالات واسعة للتجربة الفنية وتمثلاتها الواقعية والوجودية، إذ (أنّ تقاليد رواية المتشردين قدمت مساهمة مهمة جدا إلى تطور الرواية وأعطتنا أنموذجاً لوسائل تقديم التنويع ... والتشويق للنوع الأدبي كما تشير إلى أنه لا توجد هناك تجارب اجتماعية بعيدا عن حدود الرواية)[١٩]،ولهذا استلهمت رواية الأجيال من رواية التشرد أبعاد الارتحال والخروج على نسق النظام العائليّ بأعرافه وقيمه الرمزية والتربوية والثقافية، ووصف (توماس مان) في روايته (اعترافات فليكس كرول) المهرجين بأنهم "رهبان الجنون الذين نبذوا العالم كله ،كائنات مهجنة تظفر مرحاً ، جزء منها إنساني، بينما ينتمي الجزء الآخر إلى عالم الفن المجنون)[٢٠].

ومن هنا، فقد شكّل تراث سرفانتس السرديّ ومساهمته في اصطناع الرواية البيكاريسكية بوصفها نوعاً فريداً في عصر النهضة الأوربيّة عاملاً في تفتح العقلانيّة والإفادة من مبتكرات التقدم العلميّ، ومن ثم اطراد النزوع الفرداني في تمثيلاته الروائيّة على نحو امتزاج خلاّق بين تراث الاعترافات عند جان جاك روسو، و الذي سيكوّن فيما بعد (رواية التكوين) تعبيراً عن سعي الروح الأوربية في التعلّم،لا من الكتب القروسطيّة، بل من الخبرة الشخصية الفريدة في الحياة.

ونلمح بين التشرد البيكارسيكي والمغامرة التكوينية في رواية التعلم نمطاً من أنماط تشكل الذات في السردية الاوروبية المعاصرة وانفتاحها على تجربة الخبرة الوجدانية والمعرفية والروحية ،فقد عرف في النقد الأدبي مصطلح يطلق Bildungsroman" على رواية التكوين، أو رواية التعليم،بوصفه نوعاً أدبياً يركز على النمو النفسي والمعنوي للبطل الروائي، ويتابع سيرته من طفولته الأولى الى ربيع شبابه وصولاً الى خريف الشيخوخة مستقصياً أبعاد التجربة وجذورها وتحولات الشخصية في منظورها الفكري والإنسانيّ ومستكشفاً الدلالات النفسية لأطوار الشخصيات في مراحلها العمرية المختلفة، وهي تكشف عن أبعاده وتحولاته (من الإشباع الممكن الى الانجاز الفعلي،

[١٨]-الاغتراب والوعي والأصالة لدى لوكاش وهيدغّر ، هشام شرابيّ،ت: محمود شريح، مجلة معابر، دمشق ، سورية (موقع الكترونيّ) .

[١٩]-مدخل لدراسة الرواية، جيريمي هوثورن، ت: غازي درويش عطية، مر: سلمان داود الواسطي: ٢٢ .

[٢٠]-الفكاهة والضحك، د.شاكر عبد الحميد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ٢٠٠٣: ٤١٦.

من السذاجة المليئة بالأمل الى الحكمة الراضخة)[٢١]، وهو مصطلح قد صيغ في القرن التاسع عشر،وعادة ما يشار الى الأنموذج الأشهر لرواية التكوين فيما وضعه غوته (التلمذة فيلهلم مايستر) و(رواية الجبل السحري) لتوماس مان، وعلى الرغم من أن رواية التكوين نشأت في ألمانيا، غير أنَّ امتدادات تأثيرها قد شمل أوروبا برمتها[٢٢]، وقد أشارات بعض المعجميات النقدية الى نوع من العلاقة الجمالية بين رواية التكوين في جذورها الألمانية ورواية الأجيال في جذورها الفرنسية[٢٣]؛ لتجد قاسماً في التدفق النهري للشخصيات وللسعي العميق في رغبة الذات لاكتشاف هويتها ومن ثم أصول تكوين الشكل الانسيابيّ في رواية الأجيال. الا أن (رواية الكلاسيكية الألمانية، من حيث هي رواية تتشئة، مصممة كتعبيرٍ رمزي عن العصر، تصور تطور الفرد وتفتّحه بحسب القانون القائم منذ ولادته،بيد أن الرواية كانت شديدة التعلق بالواقع فعجزت من ثم نقل المثل الأعلى الكلاسيكي)[٢٤].

وقد عدَّ النقاد ثلاثية الطبل الصفيح لغونتر غراس أحد أبرز الكتاب الألمان بعد الحرب العالمية أنموذجاً لهذا النمط في كتابة رواية الأجيال،مما اصطُلح على تسميتها (ثلاثيّة داينتسيغ) وهي: "طبل الصفيح" (١٩٥٩)، "القط والفأر" (١٩٦١)، "سنوات الكلاب" (١٩٦٣). آنذاك، كان قرع الطبلة تلك بهدف إزعاج العقليّة الألمانيّة السائدة بعد الحرب، ولفت الانتباه إلى الجانب المُتجاهل والمخفيّ من التاريخ الألمانيّ: الحقبة النازيّة التي رسمت فعلياً تاريخ ألمانيا بين الحربين العالميّتين[٢٥]،ومن ثمّ عدّ الناقد جيرمي هوثورن رواية الانجليزيّ أنتوني باول "رقص على موسيقى الزمن"والمنشورة بين عامي ١٩٥١ و١٩٧٥، من رواية الأجيال أو الرواية النهر المتدفق في جريانه وتفرعه[٢٦]، والتي تعد امتداداً لتقاليد الكتابة الانسيابية عند مارسيل بروست في روايته (البحث عن الزمن الضائع) التي تمثل (قصة عصرٍ وقصة سريرة ضمير، وسلسلة أحداث اجتماعية، وتحليل للأهواء البشرية في عشيرة البرجوازيين وقد باتوا أثرياء – آل فيردرين – وفي :ندوة الأميرة دوغيرمانت التي شدد المؤلف، وغالباً بفكاهة شرسة، على زهوها وتفاخرها... غير أن بروست تشبث بتسليطه الضوء على سير عمل الذاكرة الوجدانية وإدراك الزمان حسياً، ووصف هذه الأوقات الأثيرة المحظوظة التي في ظل بعض إحساساتها)[٢٧]، ولهذا، فإنَّ بروست قد حوّل مضمون التجربة

[٢١]-نظرية الرواية : علاقة التعبير بالواقع، ت: محسن جاسم الموسوي : ١٤ – ١٥ .

[٢٢]-ينظر في نشأة النوع وتطوراته المقاربة النقدية التي قدمها باختين الموسومة بـ(رواية التعلم في تاريخ الواقعية): جمالية الإبداع اللفظي ، ميخائيل باختين ، ت : شكير نصر الدين ، دار دال للنشر والتوزيع ، سورية ، ط١ ، ٢٠١١ : ٢٤١- ٢٤٢ وما بعدهما .

[٢٣]-ينظر : معجم المصطلحات الادبية ، بول آرون وآخرون ، ت محمد حمود :٥٤٦ .

[٢٤] -تاريخ الآداب الأوروبية : النهضة ، الأنوار ، الرومانسية، ت : صياح الجهيم : ٤٦٨.

[٢٥]- غونتر غراس طبل الحياد ، علي عبد الأمير صالح ،مجلة البحرين الثقافية، ع ٣٣، أكتوبر، ٢٠٠٢ : ٦٤ – ٦٨ . الروائي الألماني غونتر غراس – رواية النقد الذاتي، عبد الرحيم حزل، مجلة آفاق ، ع ٦٨ ، يونيو ٢٠٠٢ : ١٠٨ – ١٠٩، غونتر غراس والإخلاص الحر للحقيقة، إبراهيم سلوم ، ع ٥٩٢ ،١يناير، ٢٠١٣ :

[٢٦]-مدخل لدراسة الرواية، جيريمي هوثرن ، ت : غازي عطية : ٣٢ .

[٢٧]- تاريخ الآداب الأوروبية : الواقعية ، الحداثة ، مابعد الحداثة ، مجموعة مؤلفين، ت: موريس جلال : ٢٢٤ . وينظر في مساهمة مارسيل بروست في التأسيس الجماليّ للرواية الانسيابية في طورها الأخير وهو يفيد من التنويع الموسيقي للأشكال الهيرمونية في

الواقعية في التحولات الاجتماعية الى صيرورة ذهنية تعيها الشخصية في مستوياتها الفلسفية المركبة وعلاقاتها السايكولوجية المعقدة.

لقد استطاع مارسيل بروست من خلال روايته المتعددة الأجزاء(البحث عن الزمن الضائع) أن يفتت الإحساس بالواقع ضمن تنويعات بنائية لحدس الشعور فـ(الظاهراتية البروستية توضح وتعرض فقط بعض المعارف الحدسية التي يشترك فيها جميع الروائيين الكبار والتي لم تكن قبلهم موضوع عرض تعليمي،وتجسد في مواقفَ روائيةٍ يقود جوهرها دائما الى الالتباس)[٢٨] ، فقد كتب باول الذي يسمى بـ(بروست الانكليزي) (ببراعة حول الطبقة العليا للمجتمع الانكليزي، ولكن بحميمة أكثر وعلى رقعة أكثر شمولا، اذ تعتبر سلسلة رواياته المؤلفة من ١٢ مجلداً والتي تنتظم تحت عنوان "رقصة لموسيقى الزمان" سرداً يتميز بسهولة القراءة ويتناول الحياة المتداخلة، ومهن الناس العاملين في حقول الفن والسياسة منذ ما قبل الحرب الكونية الثانية وحتى عدة سنوات بعدها)[٢٩].

استقصاء الذرات التي تتساقط في وعي الشخصية الروائية وعلاقتها بالأشياء : مارسيل بروست والتخلص من الزمن،جيرمين بريه ، ت: نجيب المانع ، منشورات وزارة الاعلام العراقية، بغداد ،١٩٧٧ : ٢٣- ٢٣ ومابعدهما .

[٢٨]-الكذبة الرومنسية والحقيقة الروائية، رينه جيرار ، ت : د.رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ : ٢٧٨

[٢٩]-الرواية الانكليزية نشأتها وتطورها ، والدو كلارك ، ت : د.حميد حسون بجية، الموسوعة الثقافية (٨١) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٩ : ٩٢ . وفهود في المعبد: مقالات نقدية ، ميشائيل مار ، ت : أحمد فاروق ، منشورات كلمة ، ابو ظبي ، الامارات ، ط١ ، ٢٠٠٩ : ١٣٩ -١٤٠ .